حسن كامل الصباح.. شهيد الشمس

(إنني أجتاز الآن مرحلة صعبة وخطرة، أسأل الله أن ينجيني منها، فادعوا لي لأن دعاءكم ورضاكم قد يخلصانني من أعداء ألداء يكيدون لي دائماً، ويسعون لزحزحتي من طريقهم)

حسن كامل الصباح 29 مارس 1935 في رسالة الى والديه

ارتفع البالون الورقي في الهواء في حي النبضية بلبنان من عام 1905 وسط تصفيق الأطفال والأسرة ووقف والد حسن وأمه يراقبان أبنهم صاحب العشر سنوات وهو يتابع

اختراعه ويشرح لأصحابه كيف جعل البالون يطير بالغاز بعد ان طار بالهواء الساخن وبدأ الأب حديثه قائلا

- لقد قرأ مجلة المقتطف 10 مرات يجب أن يجيد الفرنسية ليجد كتب علمية يقرأها

- الفرنسية فقط والالمانية والانجليزية والتركية يجب أن يتعلم بشكل جيد ويلتحق بالاعدادية السلطانية

- لقد اشتري له خاله عدد جديد من المقتطف وبعض الكتب سيكون سعيدا بها

- لن ينام قبل أن يقرأها لا تخبره الا بعد الغذاء وإلا لن يأكل

- سأناديه الان لنعود
ينـــادي الأب على أبنـــه حســـن الذي يحضر ويمازحه
- متى تصنع سفينة للفضاء
- لقد قرأت التجربـة في مجلـة المقتطف ووفر لي خالي أحمـد الأدوات والغـــاز أيضـــا صـــنعت بـــالون بـــالهواء الســـاخن وهـــذا بالغاز
- حسنا هيا للغذاء وهنـا مفاجـاة لك بعدها
الكلية السورية الانجيلية
جلس زملاء حســـــن بالكليـــــة الانجيلية حليم ويوسف وخـــوري مـــع مســـتر هـــوارد المـــدير وهم يرفضـــون عـــدم اكمـــال حســـن لدراســـته بســـبب المصـــاريف

واستعدادهم لدفعها له نظرا لتفوقه ونبوغه الاستثنائي وسعد المدير بأخلاق طلابه وحبهم لزميلهم واحترامه له وأعلن أن دراسة حسن كامل الصباح ستكون مجانية على أن يستمر في ابهارنا ونبوغه وفرحوا بذلك وهم يؤكدون له أنه سيكون صاحب مستقبل علمي متميزة ولكن هوارد أجاب باقتضاب

- للاسف المستقبل القريب ستكون حرب كبيرة وربما يتغير العالم للاسوا ولكن وجود زملاء مثلكم بهذه الأخلاق يسعدني

لم يرد احد ولكنهم أسرعوا ليخبروا حسن بالخبر السعيد

بعـــد أن كـــان حزينـــا لـــترك الدراسة

عام 1916

كـان حسـن يعمـل على جهـاز التلغـراف خلال الحـرب عنـدما دخـل عليهـا الضـابط الالمـاني مبتسما ليخبره بترقيته الى رتبة ملازم أول بالاضـافة الى تعيينـه قائد مفرزة التلغراف ودار بينـه وبين حسـن حـديث ودي باللغـة الالمانيـــة الـــتي أصـــبح حســـن يجيدها مع الفرنسية والانجليزية والتركيـة بشـكل أبهـر القـادة الالمـان ونصـحه بالسـفر الى المانيـا بعـد الحـرب من أجـل العلم أو الى أمريكـا من أجـل المـال والاخـتراع ولكن هـدف

حسن كـان فرنسـا فسـافر الى دمشــق أولا ثم بــيروت للعمــل كمدرســـــة وأكمـــــال دراســــــة الهندســــــة ولكن المفـــــــوض السامي الفرنسي دفعه للسـفر الى أمريكا فهناك الفرصة أكــبر للمــال والاخــتراع كمــا أخــبره الضباط الالمان من قبل

لقاء مع إدغار

وقف بـروان المهنـدس بشـركة الكتريك وزميل حسـن الحسـود ولكن عمومــا لم يكن الشــخص الوحيد الذي يحسده ولكن الأمر تجــاوز الحســـد الى التـــدمير والايـذاء وفي هـذا اليـوم كـانت ينتظر شخصا ما بمقـر الشـركة والذي ما أن راه حتى رحب بـــه

بشده ودعاه الى مكتبه والذي ما أن جلس حتى بدأ بالحديث الى بروان

- حسن شخص مذهل أنجز بمفرده 37 اختراع وسجلها في 11 دولة ولكن العدد الكلي حتى اليوم 76 اختراع كلها في مجال الكهرباء والطيران والتلفزة ومنها جهاز إلكتروني يمكن من سماع الصوت في الراديو والتليفزيون ورؤية صاحبه في آن واحد.
- أعرف أنه عبقري لقد حول شعاع الشمس الى كهربية ولكنه عربي مسلم

- العربي الوحيد الذي حاز لقب فتى العلم الكهربائي من معهد المهندسين الكهربائيين الأمريكيين أنت نفسك تتمني الحصول عليه هذا اللقب أليس كذلك عزيزي براون
- أنه يتواصل مع ملك العراق فيصل الأول ليتم تجريب اختراعاته في صحراء الربع الخالي هل تعرف معني هذا؟
- ماذا يعنى ؟
- سيكون للعرب مصانع كهرباء سيصنعون مثلنا هل تفهم خطورة ذلك سيد ادغار
- لا تنطق اسمي ابدا في أي مكان

- اسف
- فهمت ما تريد ولكن حسن ليس خطرا حتى الان أنه شخص مفيد جدا لنا ولمشاريعنا واذا حصل عكس ذلك ساتدخل فورا نحن نراقب أنفاسه لا تقلق أيها الحسود

تقدم هنكل من حسن وهو جالس على مكتبه وأشار بمجله بيديه

- صديقي المذهل قرأت مقالتك عن المربع الوحيد وأيضا شعاع الشمس لقد ودعت فكرة سد الليطاني لانتاج الكهرباء

- كان ذلك 1921 ولكنها مجــرد فكرة لن تتحقق
- مشروع المربــع الوحيــد مــربح جدا للشــركة إنــارة المصــابيح الكهربائيـــة المسلســـلة بنـــور ثـــابت مهمـــا تعـــددت ربحت الشـــــركة منهـــا الملايين ولم تعطــك حقــك هــذا المشــروع وحـــــده يجعلـــــك مليونـــــيرا.. لصوص قــذرة ولكن الشــمس أفضــل ملــك للجميــع ومجانيــة وصحراء العرب زاخرة بها
- صـــحيح ســـابدا في مراســـلة الملــك عبــد العزيــز بن ســعود من أجل مشروع الربع الخالي رحم اللــه الملــك فيصــل كــان

متحمسـا للمشـروع ولكنـه الأجل

- أنا لاأفهمك شـركتنا البغيضـة تسـرقك ولاتعطيـك حقـك في الاختراعات والمشـاريع الـتي يربحـون منهـا الملايين ومـع ذلك ترفض عرض "سـيمنس" الألمانيـة لمـاذا.. لـو حصـلت على عـرض مثلـه لـركلت شركتنا فورا بقدمي
- كلامـك صـحيح ولكنهم هنـا يوفرون لي كـل شـئ معـدات وأدوات ومعامل وانفذ تجاربي براحة كاملـة ولا أضـمن الأمـر مع الآخرين ولاتنسي ما حـدث في مشروع المقوم الزئبقي

- الملعــون بــراون أراد ســرقة المشـــروع ثم تـــدميره ولكن المـدير ركلـه بقـوة وأعطـاك حقك
- هذا جميل اليس كذلك
- ولكنها أمريكا لقد سرقوها من الهنـود الحمـر وليســت بلادنـا الأصلية مثل بلادكم
- بلادنا الجميلة تستحق الأفضـل ولكن لا أجد يســتمع لي ولكن على الاقل ساحاول

وأكمـل رسـالة كـان يكتبهـا في يديه وتركـه هنكـل ولكنـه توجـه الى التليفون ولم يتحدث كثيرا

- يبــدو أنــه ســيرحل قريبــا الى بلاده العرب

- لقد دفع بالفعل ثمن طائرة ليسافر بها الى لبنان ولكنه لن يرحل اليها
- لا أفهم
- لايهم لقد قمت بوظيفتك على خير وجه لن تنسي لك أمريكا ذلك

نظر الطبيب الى جثة حسن كامل الصباح أمامه وتفحصها عدة مرات ثم نظر الى رجل شرطة بجواره وآخر يبدو من المخابرات

- هذا الرجل لم يقتل في حادث سيارة
- هذا ما ذكروه لنا حادث مروري وقعت السيارة في حفرة ما

- لايمكن أن يكون ذلك صحيحا هنا تدخل الرجل الثاني
- لايهم نريـــد فقـــط التقريـــر ولتنتهي هذه القضية الان

أمام تمثال النبضية

- ورق خفيـف - غـراء - شـمعة صـــغيرة أو قمـــاش لمشـــبع بـالزيت - خيـط - اصـنع هيكلًا ورقيًا مثـل مظلـة كبـيرة من الــورق الخفيـف تُشـكل جيبًـا للهـــواء. اشـــعل مصـــدرًا للحـــرارة - ضـــع شـــمعة أو قطعـة قمـاش مشـتعلة تحت الفتحة دون أن تلامس الــورق مباشــــرة - راقب الهــــواء السـاخن وهـو يصـعد داخــل البــالون الهــواء الســاخن

داخل البالون يصـبح أخـف من الهـــواء المحيـــط، - فيبـــدأ البالون في الارتفاع ببطء بدل الهــواء الســاخن، يمكن ملء البــالون بغــاز خفيــف مثــل الهيليــوم الهيليــوم أخــف من الهواء

أمـام تمثـال حسـن كامـل بحي النبطية لبنـان كـان هـذا الرجـل يقص على طفل 12 سنة كيـف يصنع بالون والطفل يسـجل مـا يقول الرجل وما ان انتهى حتى شــكره الطفــل ولكن الرجــل أكمل

- في عام 1905 كان هنا طفـل صــنع بــالون من الغــاز أيضــا وطار في سماء الحي

- سأصنع واحدا مثله وأريد أيضا صنع صاروخ وطائرة حقيقية
- إن شاء الله

التفت الطفـل الى والـده الـذي تقدمه منه وهو يسأله

- ماذا تكتب
- علمني هذا الرجل كيف اصــنع بــالون من الهــواء الســاخن والدخان
- أي رجل

التفت الطفـل فلم يجـد الرجـل الذي كان يحدثه ولكنه قال لأبيه

- أنه رجل يشبه هذا الرجل

وأشار الى تمثـال حسـن كامـل الصباح الواقف في حي النبطية وكأنه يقـول لنـا (إنـني أوقن أن

نهضـتنا لن تـأتي بخطبـة، بـل بمختـبر صـغير، وطفـل يجـرّب، ومعلّم لا يسخر من السؤال)

إلى خـالي الجليـل الشـيخ أحمد رضا

أكتب إليـك وأنـا جـالس قـرب النافـذة، وقـد وضـعتُ بجـانبي عـددًا جديـدًا من مجلـة المقتطـف، تلـك الـتي أخبرتـني عنهـا في زيارتـك الأخـيرة. لا أخفيك يا خالي أنني كلما قرأتُ فيها، شعرتُ كأن نافـذةً أخـرى قـد فُتحت في رأسـي، تطـلّ على عـالمٍ لا نـراه في شـوارع النبطيـة. قـرأت اليـوم عن الهواء، وكيف أن له وزنًا، وكيف أن السـاخن منـه يعلـو فـوق

البـارد، فظللت أفكـر: إذا كـان الهـواء يطيـع قـوانين، فلمـاذا لا نُطيعه نحن ونتعلّمهـا؟ حـاولتُ أن أصنع شيئًا يشـبه مـا قـرأت، جمعت ورقًـا خفيفًـا، وربطتـه بخيـط، وقـرّبت تحتـه نـارًا صـغيرة، فـرأيت الـورق ينتفخ ويرتفـع قليلًا، ثم يسـقط. لم ينجح الأمـر كمـا في الكتـاب، لكنه جعل قلبي يطير قبله. ادعُ لي يـا خـالي أن أفهم، فـالفهم عندي صار أحبّ من اللعب.

حسن كامل الصباح 1908

ما زلت أذكر قولك لي: «العلم بلا لسـان عـربي أعـرج»، وقـد لازمتني هذه العبارة في غربـتي الصـغيرة هنـا. أدرس الكهربـاء

والرياضـيات، وأرى كيـف تُبـنى الأمم لا بـــــالخطب، بـــــل بالمعادلات الدقيقـة. يـا خـالي، يؤلمـــني أن أرى لغتنـــا غنيـــة بالبلاغـــة، فقـــيرة بـــالمختبرات. أرى شـــــبابًا أذكيـــاء، لكنهم لا يجـدون سـوى الحفـظ طريقًـا. بدأت أفهم أن مشـكلتنا ليسـت في قلة العقـول، بـل في ضـيق الأفق الذي نضعها فيه.

ماذا لو صـارت الشـمس كتابًـا مفتوحًا نقرأ منه طاقة لا تنفـد؟ لست حالمًا يـا خـالي، أنـا أتعلم كيـف أحـوّل الحلم إلى أرقـام، وأخشى أن أتعلم هذا بعيـدًا عن أرضي.

حسن كامل الصباح 1916

وصلتُ إلى أرضٍ تُقاس فيها قيمة الرجل بماً يصنع، لا بما يقول. المعامل هنا لا تنام، والعقول لا تخجل من السؤال.

يا خالي، إنهم يحترمون القانون العلمي كما نحترم نحن القرآن الكريم. لا أحد يسأل: من أنت؟ بل يسألون: ماذا أضفت؟

أعمل ليلًا ونهارًا، وأشعر أحيانًا أنني أركض أسرع من ظلي. لدي أفكار عن تحويل الضوء إلى قوة، وعن نقل الكهرباء بطرق أوفر، لكنني كلما اقتربت من النجاح، تذكرت: لمن سيكون هذا النجاح؟ أخاف أن أصير عالمًا بلا وطن،

وأخاف أكثر أن يكون الوطن بلا علماء. علّمني يا خالي: كيف يجمع المرء بين الأمانة للعلم، والوفاء للأمة؟

حسن كامل الصباح 1922

لو عاد بي الزمن، لاخترت الطريق نفسه، رغم قسوته. العلم ليس طريقًا مفروشًا بالتصفيق، بل بالوحدة.

إنني أوقن أن نهضتنا لن تأتي بخطبة، بل بمختبر صغير، وطفل يجرّب، ومعلّم لا يسخر من السؤال. إن متّ قبل أن أرى ذلك، فليكن عزائي أنني حاولت.

حسن كامل الصباح مارس 1935

تمت